مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر 2020، ص - ص: 197 – 226
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

بلاغة البيان ودورها في فهم الحديث النبوي واستنباط الأحكام منه

د/ علي زواري أحمد
معهد العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
soufislam@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/07/10 تاريخ القبول: 2020/07/29

الملخص:
مقالنا يتعلق ببلاغة البيان في الحديث النبوي الشريف ودورها في فهم الحديث وبيان دلالاته المختلفة الظاهرة والباطنة السطحية والعميقة التي تؤدي للفهم السليم للحديث النبوي وأبعاده القريبة والبعيدة، ودور كل ذلك في استنباط الحكم من النص النبوي الذي يعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وقد خلصنا لأهمية بلاغة البيان في الفهم والاستنباط، وعلى كل باحث أو فقيه أن يستحضر هذا الجانب اللغوي عند التعرض لبيان الحديث النبوي، وقد أصبحت الحاجة ملحة في زماننا للاهتمام بذلك كما اهتم العلماء من بداية التأليف في اللغة والبلاغة حين ركزوا على لغة القرآن الكريم وبلاغته لتجلية مواطن الإعجاز والبيان.
الكلمات المفتاحية: بلاغة البيان؛ الحديث النبوي؛ استنباط الأحكام؛ فهم الحديث.

Abstract:
Our article relates to the eloquence of the statement in the noble prophetic hadith and its role in understanding the hadith and its various apparent and superficial and profound connotations that lead to a proper understanding of the prophetic hadith and its near and far dimensions, and the role of all of this in deriving judgment from the prophetic text which is the second source of legislation after the Holy Qur'an. We concluded the importance of eloquence of the statement in understanding and deduction, and every researcher or jurist should evoke this linguistic aspect when exposed to the statement of the hadith of the Prophet, and the need has become urgent in our time to

take care of that, as scholars have cared from the beginning of authorship in language and eloquence when they focused on the language of the Holy Qur'an and its eloquence to manifest the citizen Miracle and statement.

Key words :Eloquence of the statement; Prophetic hadith; devising judgments; Understanding the hadith.

مقدّمة:

تميزت العرب بسلامة الذوق وسليقة الطبع، فكانت بهما في غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليل لأحكام النقد ولتوضيح أصول البيان العربي، فهكذا كان أرباب الفصاحة من العرب، ثم جاء الدور على من بعدهم فدرسوا أساليبهم في أفانين القول ليحصنوا الكلام العربي من اللحن والدخيل، فبرز علماء اللغة والأدب والنقلة والرواة والنقاد والباحثون فكانت لهم جهود معتبرة كان لها أثر كبير في نشأة البلاغة ونمو البحث في أصول البيان.

والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أحد العرب الفصحاء - بل أفصحهم عليه الصلاة والسلام- كلفه الله ليبلغ رسالة الإسلام لهؤلاء الفصحاء فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: 67). ومن كان عمله البيان والبلاغ - كما نطق القرآن - فلا بد من أن يؤهل بما يعينه على أداء هذه المهمة العظيمة، ولقد أعان الله رسوله وأيده، فكان فى قمة البيان والفصاحة، وامتلك تمام آلة البيان وأعلى درجات التبليغ ﷺ.

وقد أشار الحديث النبوي بنفسه لموضوع البيان الذي كان مفخرة العرب وسرّ اعتزازهم بذاتهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[1] أي ما يشبه السحر من حيث جلب القلوب والغلبة على النفوس والتأثير عليها، ولا ريب أنه - عليه الصلاة والسلام - امتلك من هذا السحر ما فاق به العرب، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ»[2]. فهذا الحديث النبوي يشير إلى قضية البيان النبوي، ويبين أنّه ﷺ قد آتاه الله تعالى البيان الذي أرسله به للناس كافة.

لهذا تعتبر الأحاديث النبوية مادة غنية للعديد من الدراسات اللغوية؛ ومنها الدراسة البلاغية، فقد حوت صنوفا متنوعة من المباحث البلاغية، واستوعبت ألوانا مختلفة من الوجوه البيانية، واشتملت على جملة من القيم الجمالية، كانت كلها من أبرز مظاهر بلاغته وقوة بيانه ﷺ، ومن أجل دلائل نبوته -عليه الصلاة والسلام-، ولهذا انبرى العلماء والبلاغيون والأدباء في وصف فصاحته، وبيان بلاغته، وما امتازت به أساليبه من أفانين القول، ولم يكن شرّاح الحديث والدراسون لأحاديث الأحكام في معزل عن ذلك؛ بل كانوا فرسان هذا الميدان وأربابه لإدراكهم أهمية بلاغة البيان في ذلك، وعلى هذا وُسِوم مقالنا بـ "بلاغة البيان ودورها في فهم الحديث النبوي واستنباط الأحكام منه".

ومن هذا المضمون الذي ذكرناه فإن مدار إشكالية مقالنا تدور حول بيان بلاغة البيان النبوي من خلال الأحاديث النبوية، وأهمية ذلك في بيان معنى الحديث وفهمه، واستنباط الحكم منه.

وعليه فقد وضعنا خطة مناسبة تتناول هذه الإشكالية بالمعالجة تضمنت المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف البلاغة والبيان.

المطلب الثاني: بلاغة البيان في الحديث النبوي.

المطلب الثالث: نماذج من بلاغة البيان ودورها في الفهم والاستنباط.

ونبدأ بالمطلب الأول المتمثل في:

المطلب الأول: تعريف البلاغة والبيان

في هذا المطلب نورد - باختصار- تعريفا للبلاغة والبيان قصد توضيح المراد بالشطر الأول من العنوان، ومنه نلج للجانب التطبيقي في المطلبين الثاني والثالث.

أولا: تعريف البلاغة

مما يجب أن يعلمه الدارس للبلاغة العربية أن المراد بالبلاغة في اصطلاحها الأخير هو الجانب المعياري المتمثل في علومها الثلاثة؛ المعاني والبيان والبديع، التي من خلالها نبني أساليب الكلام في العربية، فهي القوالب والقواعد التي ينشأ الكلام من خلالها، فتكون هي المعيار الحاكم لسلامة الكلام

العربي، ومن هنا دونت علوم البلاغة الثلاثة لترسم أصول البيان العربي والسليقة العربية ومناهج الأداء وبيان الأسلوب، فبها يمكن التحكم في سلامة الذوق ومحاكاة أهل السليقة في بلاغتهم، لأن علوم البلاغة هي قواعد السليقة العربية، ومن هذا نذكر تعريف البلاغة.

البلاغة لغة: (الوصول والانتهاء)، يقال بلغ فلان مراده - إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة - إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاه[3]، فأصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته[4].

يقول ابن فارس في المقاييس: «البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يريده»[5].

البلاغة اصطلاحا: عَرَّفَ العلماء البلاغة بأَنها: «مطابقة الكلام لمقتضَى الحال مع فصاحة عباراته»[6]. فإذا جاء الكلام فصيحاً، خالياً من التنافر والغرابة ومخالفة القياس الصرفي، بريئاً من التعقيد اللفظي والمعنوي، جارياً على المشهور من آراء النحاة، وكان مناسباً للموضوع الذي يقال فيه ولأحوال السامعين، معبراً عن مشاعر قائله أصدق تعبير، فإنه يعد كلاماً بليغاً[7]؛ وفي هذا يقول الجاحظ: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[8].

لأن قائله يبلغ به غايته، ويصل إلى مراده من نفوس سامعيه، فيؤثر في نفوسهم، ويسيطر على مشاعرهم، ويملك به أزِمَّة قلوبهم[9].

ثانيا: تعريف البيان

البيان ثمرة من ثمرات البلاغة، وهو نعمة امتن الله بها على عباده؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: 1-4)، فهو بهذا التعليم تميز عن كثير من الخلق، وصار ناطقًا مبينًا يستطيع أن يعبِّر عما يجول بخاطره من المعاني، وأن يوصلها إلى غيره من البشر، ويتلقاها الغير عنه؛ فيتم التفاهم، وتتحقق السعادة بين البشر.

البيان لغة: الكشف والإيضاح والظهور[10]، يقال: فلان أبين من فلان، أي: أوضح منه كلاما[11]. وفي حديث النبي ﷺ «إن من البيان لسحرًا»[12] قال ابن عباس: «البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور»[13].

البيان اصطلاحا: أما البيان من حيث الاصطلاح فهو: «علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال»[14]، أو هو: «أصولٌ وقواعدُ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى»[15].

فالضليع من كلام العرب منشورة ومنظومة، إذا أراد التعبير عن أي معنى يدور في خلده ويجول بضميره استطاع أن يختار من فنون القول، وطرق الكلام ما هو أقرب لمقصده، وأليق بغرضه، بطريقة تبين ما في نفسه من المقاصد، وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له[16].

وقبل الخوض في المطلب الثاني نقول أنه لا يمكن حصر البلاغة في الحديث النبوي من خلال صفحات معدودة من هذا المقال، ولكن نستطيع توضيح المراد بذكر مجموعة من الأحاديث النبوية نركز فيها على بعض النماذج من العلم البيان تتعلق بالتشبيه والاستعارة والكناية، ونختم بالمجاز الذي يتضمن صورا مركبة تتعلق بعلم المعاني لها دلالتها البيانية حتى تصل الفكرة ويبرز المقصود.

المطلب الثاني: بلاغة البيان في الحديث النبوي

أساليب الكلام تختلف، وكل منها يناسب أهدافا معينة، وأصنافا معينة من الناس، وأحوالا خاصة للمخاطبين، ومناخات نفسية عامة، وقد يجتمع عدد من أساليب الكلام في كلام واحد حينما لا تكون متنافية، أو حينما يلائم بعضها بعضا[17]، ومع تفاوت الأساليب البيانية وارتقاء بعضها فوق بعض، نؤكد أنه ربما كان الأدنى منها أصلح وأجدى من الأساليب التي هي أرقى، مع بعض المخاطبين، أو في أوضاع وأحوال خاصة، أو في موضوعات معينة أو بالنسبة

إلى أهداف خاصة من الكلام، وعندئذ يكون الأدنى في أسلوبه البياني هو الأبلغ لتحقيق الهدف[18]، وذلك هو بلاغة البيان المرتبطة بمراعاة مقتضى الحال.

ومن أجل ذلك لا بد من النظر إلى الأسلوب البياني ومرتبته من جهة، وإلى ما يقتضيه الهدف وإلى وضع المخاطب وحاله من جهة أخرى، ومن هذا تبين لنا أن الأساليب البيانية تختلف أنواعها اختلافا كثيرا، وأن الأهداف من الكلام، وأوضاع المخاطبين وأحوالهم، والموضوعات العامة التي يجري فيها الكلام، والمضامين الفكرية التي يراد الدلالة عليها، والمناخات النفسية والاجتماعية التي يوجه فيها الكلام، تختلف اختلافا كثيرا أيضا[19].

والبليغ حقا هو الذي يحسن الملاءمة بين أسلوبه البياني وبين الهدف الذي يقصده، والموضوع الذي يتحدث فيه، ووضع المخاطب الذي يوجه له كلامه، وحاله التي هو عليها، وسائر الأمور التي يمكن أن يلائمها أسلوب من الكلام ولا يلائمها أسلوب آخر[20].

وأول ما نبدأ به في بلاغة البيان النبوي، هو:

أولا: بلاغة التشبيه

التشبيه عمدة البيان والركيزة الكبرى التي يعتمد عليها في تصوير المعنى بصور مختلفة ومنه تنبثق بعض الأساليب البيانية الأخرى، كالاستعارة والكناية وغيرهما، ومن أمثلة الصور الفنية المتعلقة بالتشبيه في البيان النبوي قوله، ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا»[21].

فعندما نتمعن في بلاغة البيان النبوي في هذا الحديث الشريف نجد أن المعنى الحقيقي والمباشر أو المعتاد للحديث يدل على التفاوت الحاصل بين الناس، فقد جرت في حياة الناس وأعراف الشعوب مقاييس يتم من خلالها تقسيم الناس إلى طبقات، وهذه المقاييس منها ما يعود إلى الحسب، ومنها ما يعود إلى النسب، أو الحياة أو المال، والمجتمع العربي قبل الإسلام لم يكن بعيدا عن تلك التصنيفات، فكانوا يصنفون الناس إلى سادة وعبيد، فلما جاء الإسلام وضع القواعد والأسس التي يتم من خلالها التفاضل بين الناس، والتي منها التقوى.

فقوله "الناس معادن" يحمل صورة فنية؛ وهي التشبيه الذي تقوم وظيفته البيانية على تصوير المعنى في قالب محسوس، عن طريق ربط الصور الحسيّة، بأخرى أشد منها تمكنا في الصفات الحسيّة، وهذا ما يجعله قريبا من مجال الإدراك الإنساني، ويجعله أكثر قدرة على التأثير والتأثر.

فالطرف الأول للصورة هو "الناس" وهو المشبه، والطرف الثاني هو "المعادن" من ذهب وفضة وغيرهما، وهو المشبه به، وهما أبرز أركان التشبيه وقد ذكرا، ووجه الشبه لم يذكر، وهنا تكمن القيمة الجمالية لهذه الصورة البيانية، فإذا أمعنا النظر وجدنا أن هذا الربط بين الناس والمعادن يتم من أوجه شبه مختلفة أو صفات متعددة، ومنها:

- **اللون**: فهو أحد الأوصاف الخارجية للمعادن كما أنه أحد الأوصاف الخارجية للناس، وهو ما عبر عنه القرآن ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (الروم: 22)، فكما يتم التمايز بين المعادن باللون؛ يتم التمايز بين الناس باللون – وهو ما فعلته الأمم قبل الإسلام - وهذا نوع من التصوير الحسي لتقريب المعنى، أي كما يقارن الإنسان بين لون وطبيعة المعادن فيجد أن هناك فوارق بينها، كذلك المتلقي يقارن بينها وبين المشبه، أي أنواع الناس فيجد أن هناك فوارق أيضا.

فهذا وجه من وجوه الشبه، أعطانا صورة تقريبية في العلاقة بينهما لنصل لسبب التفاضل بين الناس كما هو التفاضل بين المعادن، ولكنه في الحقيقة ليس هو المقصود الظاهر في توجيه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

- **الأصل**: وهو أصل الخروج والخلقة، وهي الأرض، فالمعادن من الأرض، والإنسان كذلك خلق منها، فهما خرجا من نفس الشيء، وهذا وجه من وجوه الشبه خفي.

- **القيمة**: هي المعنى الدقيق الخفي والمقصود الذي يجمع بين المشبه والمشبه به، أي القيمة التي يحملها المعدن فتجعله مفضلا على غيره، فكذلك الناس يتفاضلون بقيمتهم، من حيث الدين والأخلاق والعلم والإيمان، وليس بالجنس أو اللون، أو الحسب، أو النسب، أو الغنى، أو الفقر، وعليه فالمقياس الحقيقي للتفاضل بين المعادن نابع من قيمة المعدن ذاته؛ كذلك المقياس بين

الناس نابع من ذات الإنسان وقيمته، حسب تربيتهم وأخلاقهم، فكلما صلحت التربية زادت قيمة معدنهم.

فالناس كالمعادن بعضهم نادر ونفيس كالذهب والفضة، وبعضهم كالصفيح، فإذا كان الإنسان معدنه كالذهب، فإن ذلك يعني أن الروح التي تملكت ذلك الجسد طاهرة ونقية ومتسامية كالذهب، وإذا كان معدنه كالصفيح فإن ذلك يعني أن الروح التي تملكت ذلك الجسد قد هبطت وتدنت حتى علاها الصدأ.

يقول الشريف الرضي: «إنه عليه الصلاة والسلام شبه الناس بالمعادن التي تكون في قرارات الأرض، فلا يحكم على ظواهرها حتى يستخرج دفائنها، ويستنبط كوامنها، فيكون منها اللجين (الفضة) والنضار (الذهب) ويكون منها النفط والقار (القطران)، فكذلك الناس لا يجب أن يحكم على مجاليهم، ولا يقطع على بواديهم حتى يخبروا ويعرفوا، ويثاروا ويجثوا فيخرج البحث جواهرهم، ويمحص الامتحان مخابرهم، فيتبين حينئذ كرم النحائز (جمع نحيزة وهي الطبيعة) وطيب الغرائز، وتكشف منهم الطرائق، ولئيم الخلائق»[22].

- **المقارنة بين صورتين للتفاضل**: كما أننا نكتشف من خلال هذا التشبيه المقارنة بين صورتين للتفاضل، صورة جاءت بها الجاهلية، وهو التفاضل الظاهر الذي ليس له معنى، ولا يمكن أن يكون مقياسا لأنه لا يمتلكه الإنسان فيأتي به ليكون فاضلا، كالنسب والحسب والجنس، فهي أمور خارج عن قدرة الإنسان، وصورة جاء بها الإسلام تغوص في الأعماق ولها معنى وقيمة وتمثل جوهر الأشياء، ويمكن للإنسان أن يمتلكها من تلقاء نفسه، كالإيمان والتقوى والأخلاق، فيكون بها فاضلا، وبهذا يتحقق معنى التنافس في اكتساب تلك الصفات.

إن هذه الإيحاءات الجميلة التي يوحي بها البيان النبوي، والانفعالات المختلفة والمتفاوتة التي يوشي بها، تنم عن بيان رائع وإحساس كبير بالجمال، وقدرة فائقة على تشكيل الصور الفنية المؤثرة في السامعين. فهو صلى الله عليه وسلم خبير بالمشاعر والأحاسيس التي تثيرها كل لفظة وكل معنى وكل تصوير.

ثانيا: بلاغة الاستعارة

الاستعارة قسيمة التشبيه في تصوير المعنى بصور مختلفة ودلالات متفاوته، ومن بلاغتها في البيان النبوي أنه لما خرج أشراف قريش لمواجهة النبي ﷺ في بدر، وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ وغيرهم من أشراف قريش، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «هَذِهِ مَكَّةُ، قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا»[23]. الأفلاذ جمع الفِلْذَة، وهي القطعة من اللحم تُقْطَعُ طولا... وخص الكبد لأنها من أطايب الجزور[24].

فعندما ننظر في المعنى الحقيقي والمباشر للكلام من خلال الحديث نراه يتمحور في أن مكة دفعت إلى قتال المسلمين نخبة من أبنائها، وساداتها، وفرسانها، وممن لهم الرأي ويعتمد عليهم في والحرب، وهذا التعبير عادي ومتداول لا يثير أي انفعال أو لا يحدث أي تأثير في المتلقي أو السامع من الجانب البياني.

أما المعنى الذي ينطوي عليه التعبير المجازي في الحديث؛ والمتمثل في الاستعارة فإنه يحمل معنى جديدا في اللفظ، بسبب ما أحدثته الصورة الفنية من إيحاءات ودلالات عاطفية وإنسانية لم يكشف عنها المعنى الحقيقي للفظ في استعماله المباشر.

فالحديث يحمل استعارة مكنية وهي صورة فنية توحي بصورة الأم التي تلم بها النكبات، وتعصف بها الأهوال فتضطر مكرهة لدفع أبنائها إلى مواقف قد تفقدهم فيها، فتفقد نفسها إثر ذلك، فمكة تتبوأ في هذا التعبير مكانة الأم الحنون، والضلوع الحانية، والأفلاذ يمثلون الأبناء البررة الذين قذفت بهم الأم لحمايتها والذود عنها، وهم مستعدون لبذل الأرواح والتضحية بالأنفس من أجلها.

يقول الشريف الرضي: «فكأنه ﷺ، أقام مكة مقام الحشا[25] التي تجمع هذه الأعضاء الشريفة كالقلب والنياط[26]، والكبد والفؤاد، وجعل رجال قريش

كشعب الكبد التي تحنو عليها الضلوع، وتجتمع عليها الجوانح، وقاية لها، ورفرفة عليها»[27].

فهذه الصورة الجميلة، وهذه الانفعالات المختلفة التي توحي بها العبارة المجازية، هي التي دفعت بالشريف الرضي إلى القول بأنها: «وهذه من أنصع العبارات وأوقع الاستعارات»[28]، ولكنها لا تستمد نصاعتها وجمالها من مجرد تشبيه حذف أحد طرفيه، وإنما اكتسبتها بما أثارته من قيم جمالية ومشاعر نفسية ووجدانية، يحمل من خلالها البيان النبوي روح الإشفاق والرحمة على بلده المحبوب مكة التي يخوض أهلها غمار معارك خاسرة تحصد خيرة أفلاذها الذين كان يفترض أن يكونوا جنودا في صفوف أهل الحق يدافعون عن حياضه، لأنهم أولى الناس به من غيرهم، وقد نزل الحق بينهم وبعث الرسول منهم، وهم أهل السيادة والشرف بين القبائل العربية، ولكن هذه الأمنية التي يحملها الخطاب النبوي لم يعيها أهل مكة، إلا بعد فوات الأوان.

ثالثا: بلاغة الكناية

الكناية لا تقل أهمية عن التشبيه والاستعارة في تجلية بلاغة البيان، لذلك كانت قسيما لهما في علم البيان، ونذكر من الكناية في البيان النبوي ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أَنَّ ابْنَةَ الجَوْنِ، لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَنَا مِنْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الحَقِي بِأَهْلِكِ»[29].

فقوله عليه الصلاة والسلام: «الحَقِي بِأَهْلِكِ» أسلوب كنائي ورد في ثلاثة مواضع في البيان النبوي وبدلالتين مختلفتين، فقد كنى رسول الله ﷺ عن الطلاق بهذا التعبير الرقيق مما يدل على سمو مكانته وعظيم تعامله مع أزواجه بصورة خاصة، والمؤمنين بصورة عامة، وأن المرأة تلحق بأهلها إذا صارت مطلقة، ويحتمل الطرد والإبعاد عن نفسه مع بقاء النكاح وذهب جمهور الفقهاء إلى أن هذا التعبير يفتقر إلى النية لتعيين المراد.

فثبت أن تعبير "الحقي بأهلك" ليس من ألفاظ الطلاق ولا الكناية الصريحة، وإنما هو من الكنايات التي لا يلزم فيها الطلاق إلا مع النية وهي ما

تسمى بالكناية الخفية فضلا عن القرائن اللفظية التي وردت في قصة توبة كعب بن مالك "حتى يقضي الله في هذا الأمر" وقوله فقلت أطلقها قال: لا.

فهنا نجد شروح العلماء اعتمدت على الكناية في بيان الحديث وبيان حكم الطلاق في مثل هذا اللفظ، قال ابن عبد البر في الاستذكار: «أصل هذا الباب في كل كناية عن الطلاق ما روي عن النبي ﷺ أنه قال للتي تزوجها فقالت أعوذ بالله منك قد عذت بمعاذ الحقي بأهلك فكان ذلك طلاقا، وقال كعب بن مالك لامرأته حين أمره رسول الله ﷺ باعتزالها الحقي بأهلك فلم يكن ذلك طلاقا فدل بما وصفنا من هذين الخبرين على أن هذه اللفظة مفتقرة إلى النية وإنما لا يقضى فيها إلا بما ينوي اللافظ بها فكذلك سائر الكنايات المحتملات للفراق وغيره والله أعلم»[30].

ونأخذ حديثا آخر تظهر فيه بلاغة الكناية أيضا، وهو ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»[31].

الحديث يدخل ضمن أسلوب التقسيم الذي هو من فنون علم البديع حيث قسم عليه الصلاة والسلام صنوف الناس في نظرتهم للمرأة حين الزواج وهي لا تعدو الأربع التي ذكرها المصطفى عليه الصلاة والسلام، قال القرطبي: «معنى الحديث أن هذه الخصال الأربع هي التي يرغب في نكاح المرأة لأجلها فهو خبر عما في الوجود من ذلك لا أنه وقع الأمر بذلك»[32].

فلفظ: تربت يداك، كناية عن الدعاء له بالخير والبركة والنماء إن هو مال إلى ذات الدين، وكناية عن الدعاء عليه بالفقر إن هو اغتر ومالت نفسه إلى ذات الحسب أو الجمال أو المال، قال ابن حجر: «قد تربت يداك أي لصقتا بالتراب وهي كناية عن الفقر وهو خبر بمعنى الدعاء لكن لا يراد به حقيقته وبهذا جزم صاحب العمدة، زاد غيره أن صدور ذلك من النبي ﷺ في حق مسلم لا يستجاب لشرطه ذلك عند ربه... وقيل معناه ضعف عقلك، وقيل افتقر من العلم.. »[33]. ولا يستبعد أن هذا اللفظ وشبهه يجري على ألسنة العرب من غير قصد الدعاء به، كقولهم: لا أرض لك ولا أمّ لك وهم يعلمون أن له أرضا وله أما.

وذهب الزمخشري إلى أن المراد بتربت يداك أي خبت وخسرت ولا أصبت خيرا، وقيل فيه تقدير شرط أي وقع لك ذلك إن لم تفعل، ورجحه ابن العربي، فرأي ابن العربي فيه تقدير شرط مقبول وله وجاهته لأن به يستقيم معنى الحديث ويتجلّى بمراعاته المعنى المقصود فينبغي أن يؤخذ به في معنى الحديث .

وعلى هذا الرأي يكون المعنى أي لصقت يداك بالتراب، وأصبت بالفقر والعوز والضيق والضنك إن ضللت ذات الدين وصدفت عنها .وخصص القسطلاني معنى الفقر هنا بالفقر الذي يدفع صاحبه إلى الرضا بذات الدين ، محتسبا الأجر بالاغتناء من الله سبحانه وتعالى.

وذهب قسم آخر من العلماء إلى أن معنى تربت يداك يراد بها استغنت يداك، فكأنه خاطبه بضد مقتضى اللفظ على طريق التهكم إلا أن أبا عبيد يرد على ذلك فيقول وهذا خطأ لا يجوز في الكلام ولو كان كما قالوا لقال أتربت يداك، يقال أترب الرجل فهو مترب إذا كثر ماله، فإذا أرادوا الفقر قالوا ترب يترب ورجل ترب فقير، ورجل ترب لازق بالتراب من الحاجة ليس بينه وبين الأرض شيء، ومن هنا نلحظ أن للكناية أثرا واضحا في تحديد المعنى وتخصيصه بالفقر إذ إن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم، فيلزم من اللصوق بالتراب الفقر، والظاهر من القول أنه تركيب تستعمله العرب للإنكار والتعجب والحث على الشيء.

وسياق الحديث دليل أكيد على ذلك إذ إنه يحث على الزواج بذات الدين وظاهره الدعاء، وليس المراد من ذلك أن يعرض المرء عن ذات المال والحسب والجمال ويقبل على المعدمة الوضيعة الدميمة بل المراد ألا يجعل الإنسان نصب عينه في اختيار الزوجة وتفضيلها المال أو الحسب أو الجمال غير آبه بما عساه أن يكون لها من صفات أخرى، ولا ينكب عما تتحلى به من صفات قد تفضل ما نظر إليه منها وليبدأ بذات الدين، والتقوى، فإذا ضمت إلى ذلك صفة من الصفات المرغوبة كان خيرا وأفضل، فالكناية أدت دورا كبيرا في الحديث الشريف وخصوصا فيما يتعلق بتعظيم شأن الدين، ومنزلة المرأة المسلمة، وهذا ما يمكن أن يستشف من أثناء تحليل الحديث الشريف.

رابعا: بلاغة المجاز

المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدى إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية، تكاد تعرضه على عيان السامع[34]، يقول ابن جنى وهو يبيّن قيمة المجاز : «وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة»[35]. لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، والى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيها من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحية، حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، وزينوا به خطبهم وأشعارهم[36].

والمجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه، إذا تعداه - ويراد به اللفظ الذي نقل من معناه الأصلي، واستعمل ليدل على معنى غيره، مناسب له[37]، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي[38] أو الأصلي، يقول السكاكى: «الكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له بالتحقيق استعمالا فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها فى ذلك الموضوع»[39].

والمجاز باب واسع ومتعدد الأنواع نكتفي هنا بذكر المجاز المرسل في اللفظ المركب، وهو التركيب (الكلام) المستعمل في غير ما وضع له، يقول أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة : «هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشابهة: مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي»[40].
ومن ذلك :

1 - **المركبات الخبرية المستعملة في المعاني الإنشائية**: فالخبر قد يخرج عن معناه الحقيقي الذي هو الأخبار ويراد به أمرا آخر غير الإخبار ، ولهذا سمي مجازا مرسلا لأنه استعمل في غير موضعه ومن غير مشابهة، ومركبا لكونه جملة وليس لفظا واحدا، ومن أمثلته :

- قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[41] فهذا الجزء من الحديث ورد على أنه جملة خبرية يراد بها التوبيخ قصد التحذير وليس الإخبار، يقول سراج الدين ابن الملقن في كتابه التوضيح لشرح الجامع

الصحيح: «وقوله: (إنك امرؤ فيك جاهلية) غاية في ذمه وتقبيحه؛ لأن أمور الجاهلية حرام زائلة بالإسلام، وواجب على كل مسلم هجرانها واجتنابها»[42].

وقال ابن حجر في فتح الباري: «وإنما وبخه بذلك على عظيم منزلته عنده تحذيرا له عن معاودة مثل ذلك لأنه وإن كان معذورا بوجه من وجوه العذر لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه»[43].

- وقوله عليه الصلاة والسلام للمسافر: «اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»[44]. فظاهره إخبار على أن الله قد حفظ على المسافر دينه وأمانته كما تحفظ الوديعة، ولكن لا يراد به الإخبار وإنما جاء بسياق الأمر قصد الدعاء، أي استحفظ واطلب منه حفظ دينك، وأمانتك وخواتيم عملك، قال المناوي في فيض القدير: «وقوله أستودع بقرينة السبب والسياق خبر لا أمر وإن كان معناه صحيحا»[45].

يقول عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني البلاغة العربية: «وفي استخدام الخبر في الدعاء معنى التفاؤل باستجابة الله الدعاء، وتحققه في الواقع حتى يكون خبرا»[46]. ويقول أيضا: «أقول: والسبب في دلالة الجملة الخبرية على الأمر أحيانا بمساعدة القرائن، ليس من استخدام الصيغة الخبرية في معنى الأمر، ولكن هذه الدلالة آتية من دلالة اللزوم الفكري»[47].

وهناك أغراض أخرى يخرج منها الخبر عن أصله ويراد به الإنشاء، كإظهار التحسر أو الحزن أو المدح والثناء ... إلى غير ذلك من المقاصد التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها، والعلاقة في مثل هذا اللازمية، واستعماله في مثل هذا المقام أبلغ من الإنشاء.

2 - المركبات الإنشائية المستعملة في المعاني الخبرية:

نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[48]، بمعنى يتبوأ، على سبيل الأمر ولكن لا يراد به الأمر بل الإخبار، والعلاقة في هذا (السببية والمسببية) لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تتضمنه، فظاهره أمرُ، ومعناه خبر.

قال القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: «والأمر هنا معناه الخبر أي أن الله تعالى يبوِّئه مقعده من النار، أو أمر على سبيل التهكم والتغليظ، أو أمر تهديد أو دعاء على معنى بوَّأه الله»[49].

وفي عمدة القاري شرح صحيح البخاري : «قال الخطابي: ظاهره أمر، ومعناه خبر؛ يريد أن الله تعالى يبوؤه مقعده من النار. وقال الطيبي: الأمر بالتبوء تهكم وتغليظ، إذ لو قيل: كان مقعده في النار لم يكن كذلك، وأيضا فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي: كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد في جزائه التبوء. وقال الكرماني: يجوز أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى: من كذب فليأمر نفسه بالتبوء. قلت: والأولى أن يكون أمر تهديد، أو يكون دعاء على معنى: بوأه الله»[50].

المطلب الثالث: نماذج من بلاغة البيان ودورها في الفهم والاستنباط

وبعد أن تكلمنا عن بلاغة البيان في الحديث النبوي، وكيف كان لها الأثر في توجيه الدلالة وتوسعها من الدلالة السطحية إلى الدلالات العميقة، نتكلم في هذا المطلب عن أهمية ذلك ودوره في فهم الحديث النبوي واستنباط الحكم الشرعي منه من خلال البلاغة التي تضمنها النص النبوي، وسنكتفي بضرب نموذجين.

النموذج الأول: حديث «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»

فلنأخذ بيانا نبويا ونحلله وفق بلاغة البيان، وهو قوله ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»[51]. نلاحظ بداية من بلاغة البيان أنه عليه الصلاة والسلام اختار مفردات الألفاظ المناسبة للوصف المراد بيانه، والاختيار أهم سمة أسلوبية يقوم بها المتكلم، منها يتشكل الكلام وتكون له قيمته البيانية والأسلوبية، ولهذا تقوم الدراسات اللغوية الحديثة على دراسة سمة الاختيار، وفي اختياره عليه الصلاة والسلام نجد الكلمات التالية التي هي مدار الحديث كله: حَلَقَ، سَلَقَ، خَرَقَ. كلها ألفاظ مسجوعة وثلاثية وفي الماضي لأنها أبلغ في الزجر، وبنفس الجرس الموسيقي ونفس الصوت الذي فيه من القوة والجهر والشدة والانفجار ما يتناسب وحالة الزجر، ألا وهو صوت القاف الذي من سماته القلقلة.

كما أن هذه الألفاظ الثلاثة المسجوعة في هذا التركيب تابعة للمعاني التي أُرِيدت في هذا البيان النبوي، وليس مجرد آلية أو إجراء بلاغي أسلوبي مجرد عن البيان والمعنى، فالمعنى المراد هو الزجر عمّا يفعله أهل الجاهلية عند نزول مصيبة الموت، مثل الندب والنياحة ولطم الخد وشق الجيب وخمش الوجه ونشر الشعر والدعاء بالويل والثبور... فكان اختيار هذه الألفاظ الثلاثة موفية بهذا الغرض مؤدية لهذه المعاني المقصودة وجامعة لها؛ بل هي أبرزها وأظهرها عند المصيبة، والباقي تبع لها، ومن هنا نجد أن اللفظ وُظِّف لهذا المعنى، فهو لاحق والمعنى سابق، ولو غُيِّر اللفظ واستُبدِل وفق محور الاستبدال لبقي المعنى هو ذاته المقصود والمراد، وتبقى مزية اللفظ المختار التابع للمعنى أنه لا يقوم مقامها أي لفظ في استيفاء المعنى كاملا.

كما نجد أن كل فقرة من فقرات هذا التركيب، وكل وحدة (لفظة) من وحداته دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، فـ:(حلق) تعني حلق الشعر عند المصيبة[52]، فيكون التركيب: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ»، وهو تركيب تام المعنى، (وسلق) تعني رفع الصوت عند المصيبة[53]، وقيل هو ضرب الوجه[54]، فيكون التركيب: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ سَلَقَ» وهو تام المعنى أيضا، (وخرق) شق الثياب عند المصيبة[55]، فيكون التركيب: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ خَرَقَ»، فكل واحدة أدت معنى مستقل عن الأخرى، رغم أنها من الناحية النحوية معطوفة على بعضها البعض، فتوحدت في المعنى النحوي واختلفت في المعنى البياني، وهذا من إيجاز اللفظ وتوسع المعنى.

كما يتمثل اختيار الأسلوب المناسب في اختياره صلى الله عليه وسلم عبارة البراءة مع ضمير المتكلم «أَنَا بَرِيءٌ» وهذا أقوى في الدلالة من مجرد التحريم أو النهي عند دراسة دلالة الألفاظ؛ وذلك لأنه يحمل معنى مجرد النهي، ويحمل معنى التحريم المستخلص من النهي، ويضاف لذلك معنى الزجر الذي بتضمن قرينة التحريم، ويؤكده تصدر ضمير المتكلم "أنا" للتركيب؛ بل يؤكده البدء بالجملة الاسمية عموما "أَنَا بَرِيءٌ" وهذا من الاستثمار لإمكانات اللغة في بلاغة البيان النبوي، لأنه أوكد في العربية من الجملة الفعلية المجردة الخالية من المؤكدات، وكل هذا لا يؤديه عبارة حرام أو النهى المجردة عن معنى

الزجر ومؤكده، وقد اكتفى التركيب بلفظ البراءة وفعل الحلق، وعطفت الجمل الباقية على الأولى وحذف الباقي؛ لأن في التركيب ما يدل عليه ويغني عن تكراره، وهذا ألطف اختيار في الزجر عن ثلاثة أفعال مذمومة بكلمات يسيرة لكنها قاصدة للمعنى ومستوفيه له من غير إخلال ولا تكرار، وتضم كل المعاني الأخرى التي يؤديها هذا التركيب زيادة عما ذكرنا، والتي منها البراءة من هذا الفعل (الحلق والسلق والخرق)، والبراءة من فاعل هذه الأمور، والبراءة مما يستوجب أصحابها من العقوبة، والبراءة من الإلزام بالتبليغ فيما يتعلق بهذه الأفعال بعد هذا التحذير فقد تم التبليغ والبيان بهذا البيان النبوي، وكلها معاني يناسبها هذا التركيب المختار.

النموذج الثاني: حديث«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ... وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ»

روى مسلم في صحيحه عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[56].

الحديث في تزكية النفوس وتطهيرها حتى تسمو نحو الفضائل، وتتخلى عن الرذائل، ولذا يدور معناه حول الترهيب من رذيلة الكذب، والترغيب فى فضيلة الصدق، فقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة الكذب والصدق عن طريق العديد من الفنون البلاغية والبيانية، منها:

- أسلوب التحذير والإغراء، وهما من علم المعاني، ضمن الأسلوب الإنشائي يدخلان في المعنى من فروع الأمر والنهي، فعبارات التحذير هي في معنى: احذر - أو تجنب - أو توق - أو تباعد - أو لا تقرب - أو لا تدن". وعبارات الإغراء هي في معنى: (افعل - أو الزم - أو اطلب - أو أقبل - أو تقدم - أو خذ -" أو نحو ذلك مما يلائم حال المغرى به.

فقد استعمل ﷺ في التحذير لفظ (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ) فهو أسلوب تحذيري أراد به النبى ﷺ تهذيب وتعليم المحَذَّرين، ليكونوا على بينة مما قد يكون، ففي الأسلوب تحذير وتنبيه، عكس لو قيل: لا تكذبوا، أي مجرد النهي، وفي تعريف

(الْكَذِب) بالألف واللام يعطى دلالة على أنه معروف غير خاف على المستمعين، وفى هذا ترهيب من أن يظن الكذاب أنه غير معلوم للمجتمع فى كذبه.

وفي الإغراء قوله (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ) أسلوب إغراء أراد به النبي عليه الصلاة والسلام تزكية النفوس فهو أبلغ من لفظ: اصدقوا، أي مجرد الأمر، ولفظ (الصِّدْقِ) بالألف واللام يعطى دلالة على أنه معروف غير خاف على المستمعين أيضا، وكل هذا حتى يقع الكلام فى النفس موقعا يجعلها تهتز هزاً، لأن هذا الأسلوب يدفع المسلم للتخلى عن الكذب والتحلى بالصدق.

- كما استعمل ﷺ أسلوب المقابلة، وهي: «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب»[57]، فقد جاء بقوله: (فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا) وفيه ثلاثة معاني قابلها بثلاثة معاني، وهي: (فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا). فالمقابلة تجعل الفكرة واضحة، والمضمون عميق، والعبارات سلسة، والأسلوب بيّن، والمعنى متنامي تصاعديا.

ولهذا من بديع الحديث: المقابلة بين صورتين: صورة الكذب بكل ما فيها من خطوط وألوان وانحرافات وحركات، وصورة الصدق بكل مقوماتها، وهدايتها، وتفعّل صاحبها في تحريه الصدق ليكون قائده إلى الجنة، ولذلك برزت الصورة جلية ذات رونق خاص، واضحة المعانى، متلاحمة الأجزاء، متعانقة الألفاظ، متماسكة اللبنات، فبدت كأنها لُحمة واحدة، ونسيج واحد، لأن المقابلة تعتمد على ركيزة فطرية في الإنسان، وهى التي تحرك الطاقة الفكرية لبنى البشر، لأن العقل البشرى دائما ما يستحضر الضد.

- كما استعمل ﷺ أسلوب الإجمال والتفصيل، ويطلق عليه البلاغيون: الإيضاح بعد الإبهام؛ وهو عرض المعنى في صورتين مختلفتين[58]، وذلك ليتمكن المعنى من السامع لوقوعه بعد الطلب إما طلب التحذير أو طلب الإغراء، فالمعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى

معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم، ونجد النبي ﷺ عرض المعني في صورتين مختلفتين، إحداهما مبهمة أي مجملة كما في قوله: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ)، والأخرى موضحة، أي مفصلة في قوله: (فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا)، ونفس الشيء الإجمال في قوله: (وإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ)، والتفصيل في قوله: (فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا).

ووجه حسن هذه الطريقة ـ كما يقول حبنكة الميداني: ـ أن فيها ما يلي[59]:

1- إبراز الكلام في معرض الاعتدال الذي يدل عليه الإيجاز بالإبهام، والإطناب بالإيضاح، فتكون المحصلة اعتدالا.

2- إيهام الجمع بين المتنافيين، هما الإيجاز والإطناب، إذ الجمع بين المتنافيين من الأمور الغريبة المستطرفة المثيرة للإعجاب.

ـ أسلوب الاستعارة، لقد جاء الكذب في صورة رجل يقود صاحبه ليهوى به في الهاوية، (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ) فالكذب هنا يمشى، ويتحرك، ويتكلم بعدما خلعت عليه الاستعارة المكنية عباءتها لتقرب معناه إلى الأذهان، فتخوف به الجنان، فقد جاء في صورة رجل يضل صاحبه ويهوى به في الهاوية، فهو يتحرك، ويتكلم، ويذهب، ويرشد على النار، ولولا مجيئه عن طريق الاستعارة المكنية ما رأيناه في هذا الثوب.

والشيء نفسه مع الصدق فالاستعارة فى قوله: (فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ)، وقوله: (وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) فقد جاء الصدق في صورة رجل رشيد يرشد إلى معالي الأمور، وكذلك البر، وبالتالي نرى الاستعارة قد شخصت وجسدت المعنويات، وبثت الحركة والحياة والنطق في الجمادات، ولروعة الاستعارة في النص نجدها قد بثت كل هذا القدر من التأثير الذي ارتفع ببلاغتها إلى حد المبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة. وقد التفت الإمام الجرجاني إلى ذلك بقوله: «فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية... وإن

شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون»[60].

- أسلوب المبالغة في قوله: (وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ) من المبالغة في استعمال الصدق والاجتهاد في التحلي به وتعمد ذلك، يقول ابن منظور: «وفلان يتَحَرَّى الأَمرَ أَي يتَوَخّاه ويَقْصِده، والتَّحَرِّي: قصْدُ الأَوْلى والأَحَقِّ، والتَّحَرِّي: التعَمَّد والتوَخّى والقَصْدُ والاجتهادُ في الطلب والعزمُ على تخصيص الشيء بالفعل والقول»[61].

ومن المبالغة أيضا قوله: (صِدِّيقًا)، فالصديق من يتكرر منه الصدق حتى يستحق اسم المبالغة في الصدق، فيوحي ذلك بتعظيم الصدق وإكبار الصادقين، وإشعار بحسن الخاتمة، وآمان العاقبة، وفي هذا ترغيب في التزام هذا الخلق العظيم، وتشويق له، ومن ثم التحلي به كفضيلة على رأس الفضائل، فالصدق من أعظم خصال الخير وهو من مكارم الأخلاق التي جاء الشرع بتأكيدها والأمر بها، فهو خلق رفيع يتمثله الأفاضل من الناس، ويتنكب عنه الأراذل، ولذلك كان وصفاً ملازماً للأنبياء عليهم السلام، وضده ما كان ملازماً للمنافقين وأشباههم. ولذا يقابل الصدق من المبالغة قوله: (وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ) من مبالغة الكذاب واجتهاده وتعمده، وتوخيه وعزمه على الكذب، وأيضا المبالغة في لفظ (كَذَّابًا) يوحى بتهويل وتفخيم الكذب، وإشعار بسوء خاتمة أهله، وأنهم غير مأمونى العاقبة.

- أسلوب الائتلاف، أي ائتلاف الألفاظ مع المعاني لموافقتها لها، وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمقصود، فحيث كان المعنى فخما، فاللفظ يكون جزلا وإن كان المعنى رشيقا، كان اللفظ رقيقا سهلا، فيطابقه في كل أحواله، وهما إذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملائمة وقعا من البلاغة أحسن موقع، وتألفا على أحسن شكل وانتظما في أوفق نظام، وهذا باب عظيم في علم البديع[62].

ولهذا فمن المحسنات البديعية اللفظية أن يكون اللفظ مع اللفظ المجاور له في الكلام مؤتلفين، وهذا يلزم منه أن تكون الألفاظ في الكلام متآلفة يلائم بعضها بعضها، من حيث قوة الألفاظ، وجزالة العبارات، وشدة الكلمات

ورقتها، ففي جانب الكذب استعمل لفظ: (الْفُجُورِ) فالكذب يأتلف معه لفظ الفجور في الجزالة، فهو يوحى بالشدة والقوة في الباطل، فالفجور اسم جامع لكل شر ـ كما يقول العلامة الراغب: «شق ستر الديانة... وأيام الفجار: وقائع اشتدت بين العرب»[63] وفى جانب الصدق أتى بلفظ يأتلف معه في الرقة وهو: (الْبِرِّ) اسم جامع لكل الخير، يوحى بالتوسع في فعل الخير، فانظر إلى التفاوت بين المقامين في الجزالة، والرقة، وكل واحد منهما ملائم للمعنى الذي جيء به من أجله.

ـ بناء الفعل للمجهول في قوله (يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ) جاء مرتين في الصدق والكذب، ولا ريب فإن بناء الفعل لغير الفاعل يوحى بعظمه عند الله تعالى، كما يوحى بأنه قد حكم لهذا الصنف بذلك، وأنه أصبح ممن يحملون تلك الصفة وهم مجازون عليها، وكل ذلك إيحاء يلمس أوتار القلوب، فكل ما يصدر عن الإنسان مسجل عليه، وحكم عليه بذلك، واستحق هذا الوصف.

ـ استعمال معنى الاستعلاء في حرف الجر على في قوله (وَعَلَيْكُمْ) فلا يخفى دلالة الاستعلاء في هذا، فهو يشير إلى أنه من الواجب على المسلم أن يستعلى الصدق عليه، وهو أولى بالاستعلاء من غيره.

ـ استعمال المؤكدات، فلكي يستقر هذا المفهوم بكل أبعاده من غير أن يعتري السامع شك في ذلك جاء بصيغة التوكيد الذي من شأنه أن يرسخ الفكرة في الأذهان فقد جاء الأسلوب مؤكدا بـ (إنَّ) ـ أربع مرات ـ (إِنَّ الصِّدْقَ، إِنَّ الْبِرَّ، إِنَّ الْكَذِبَ، إِنَّ الْفُجُورَ) وهذا من روائع بيانه وكأن النهى قد تكرر مرتين؛ إحداهما من منطوق النهى، والأخرى من مفهوم الأمر، كما أن تصدر أداة التوكيد (إن) الكلام ليضمن الإيصال والتثبيت فـ (إنّ) تجيء للربط بين جملتين لتوصل إحداهما بالأخرى، فتراهما بعد دخولها كأنهما قد افرغا في قالب واحد، ومع أنه يمكن أن يأتي بالفاء مكان (إن) ولكن لا تؤدي مؤداها من قوة الربط والتوكيد والامتزاج.

إضافة إلى حسم التردد والشك في القبول والتلقي، ولو جاء الكلام خاليا من (إن) لما فعل فعله فى النفوس، فقد ذهب البلاغيون إلى أن استخدام أداة التوكيد واحدة ضمن العبارة هي لحسم الشك والتردد. قال القزويني: «وإن كان

متصورا لطرفيه، متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر طالباً له حسن تقويته بمؤكد»[64].

فأداة التوكيد هنا تقيد توثيق الأمر وتضمن حسن تلقيه وتأثيره في نفوس المتلقين، سواء أكان في الأمر شك أم لم يكن، بالإضافة إلى إشعارهم بأهمية الأمر ضماناً لحشد الطاقات النفسية والاجتماعية لاجتثاث ما علق بالنفوس من رذائل والتحلي بما يجب من الفضائل.

والتأكيد باسمية الجملة، فالجملة الاسمية تحمل معنى التوكيد لأنها متسمة بصفة الثبوت والدوام بخلاف الفعلية التي تحمل صفة الحدوث والتجدد، وقد جاءت الجملة الاسمية في قوله: (الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ) وقوله (الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ) فالجملة اسمية دخل عليها الناسخ إنَّ، كل ذلك يبين حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تثبيت الفكرة في الأفئدة، وتأكيدها في النفوس.

- أسلوب الموازنة، وهو «أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية»[65]، بخلاف السجع فإنه يشترط فيه الاتفاق في التقفية، وهذا الاتفاق في الوزن مما يزيد الكلام طلاوة ورونقاً وبهاءً ونرى ذلك واضحا جليا في الحديث، فقد جاء فيه التوازن بين الكلمات حرصاً منه - صلى الله عليه وسلم - على إيضاح المعاني وصوغها في أفضل قوالب من الألفاظ، فلما قال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ)، جاء بقوله: (وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ) فوازن بين الفاصلتين الصدق والكذب، وفي قوله: (وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) جاء قوله: (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ) فوازن بين الفاصلتين الجنة والنار، والتوازن في قوله: (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا) جاء قوله: (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) فوازن بين الفاصلتين صديقا وكذابا، ووازن بين الأسلوبين في عدم التصريح المباشر في قوله (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ) (وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ)، فلم يصرح بالأمر ولم يصرح بالنهي، كما وازن بين أسلوب التحذير وأسلوب الإغراء، كما وازن في استخدام لفظ: (يَهْدِي) التي وردت أربع مرات مناصفة بين الصدق والكذب، ولعل في هذا الأسلوب ما يدفع المسلم للتخلي عن الكذب والتحلي بالصدق.

وبعد هذا الشرح البياني المستوفي لمعاني الحديث يمكننا الدخول فيما يستنبط من الحديث من أحكام وفوائد، نجملها على النحو الآتي:

- الحديث يحث على تحري الصدق، والاعتناء به، وهو أشد الأشياء نفعا، ولذا علت رتبته على رتبة الإيمان; لأنه إيمان وزيادة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

- الحديث فيه تحذير من الكذب وعدم التساهل فيه، فهو أشد الأشياء ضررا، فإنه إذا تساهل فيه الإنسان أكثر منه، وعرف به، فلا يعتمد نطقه، ولا ينتفع به، فينسلخ من الإنسانية لخصوصية الإنسان بالنطق إلى البهيمية، فيصير هو والبهيمة سواء، بل هو شر منها، لأنها وإن لم ينفع نطقها، لا يضر، والكاذب يضر ولا ينفع.

- أنَّ العبدَ لا يزال يقطعُ مدى عُمْره، إما طريقًا إلى الجنة، أو النار، فبيَّنه، وبين أحد الموضعين له مسافة طويلة، أو قصيرة، يسلكها الرجل مدة حياته، حتى إذا قطعها بتمامها مات، وبلغَ منزِله فدخوله في أحدهما ليس بغتة، ما يُتوهم، بل مضى عُمْره هو سفره إلى أحدهما، حتى لا يكون انقطاعُ أبْهَره، وانقطاع سفره إلا في زمان واحد.

- شمول الصدق والكذب للقول والعمل وإن كانا يقعان في الأخبار من الأقوال لكن الحديث جاء بالتوسع على العموم حين ذكر أنهما يهديان إلى الفجور والبر وهما يشملان القول والفعل.

- في الحديث إشعار بأهمية الخاتمة من خلال كتب عند الله صديقا أو كذابا.

- حرمة الكذب ووجوب الصدق من خلال أسلوب الإغراء والتحذير فهما أمر ونهي، وهما أبلغ في التحريم الوجوب من مجرد النهي والأمر، كما أسلفنا سابقا.

الخاتمة

وبعد هذه البسطة مع بلاغة البيان من خلال حديث النبوي ودور ذلك في فهم الحديث واستنباط الأحكام منه؛ فإنه يمكن أن نخرج البحث بجملة من النتائج والتوصيات نرصدها في النقاط التالية:

النتائج:

- بلاغة البيان في الحديث النبوي صورة من صور البلاغة العربية تأتي بعد القرآن الكريم في البيان العربي، جارية على قواعد العرب وطريقتهم في

الكلام يمكن الاستفادة منها في إثراء الدرس اللغوي عموما والدرس البلاغي على سبيل الخصوص.

- إن الحديث النبوي قد تمخض عن أصول تعبيرية بيانية وبلاغية كان لها الدور الكبير في شرح الحديث وفهمه وتوجيه الحكم من خلالها، ولذا لا يمكن الاستغناء عنها في هذا المجال.
- إن الحديث النبوي ورد بلغة يحتمل لفظها الواحد، أو ألفاظها المتعددة العديد من المعاني والتفسيرات والفهوم، مما يفتح الاجتهادات اللغوية والفقهية التي تخدم الحديث وتجدد فهمه بما يناسب الزمن ونوازله.
- إن الحديث النبوي اشتمل بيانيا على صور مختلفة من أساليب البيان لها أثرها في توجيه المعنى وتعدد القراءات ووجهات النظر، ونحن اليوم بحاجة لذلك في فهم واستنباط الحكم من الحديث دون الخروج عن الأسلوب العربي المتعارف عليه.

التوصيات:

- الاهتمام ببلاغة الحديث النبوي - كما اهتم أسلافنا ببلاغة القرآن الكريم - وفي هذا ننحوا نحو المفسرين في دراسة لغة الحديث النبوي أثناء الشرح، وتخصيص حيز معتبر لذلك يتناسب ولغة العصر وطريقته في تناول الجانب اللغوي عموما ومنه البلاغي والبياني، حتى يستعان بذلك على الفهم والشرح واستنباط الأحكام، كما يمكن توظيفها في الاستدلال وأثناء الكلام عند التدريس والخطابة.
- تخصيص كتابات تشرح مدونات السنة من جانبها اللغوي؛ ومنه البلاغة والبيان، وربط ذلك بفهم الحديث والأحكام الشرعية دون تعقيد ولا إطالة حتى يتيسر للباحثين والقراء والمدرسين والدعاة والمربين ... الاستعانة بذلك.
- كتابة معجم بلاغي يختص ببلاغة الحديث النبوي، ورصد ذلك من خلال كتب السنة المعتبرة، وتكون مبوبة ومرتبة حسب تصنيفات الكتب التي وردت فيها، أو ترتب حسب كتب البلاغة في عرض المباحث البلاغية لتيسير

الوصول إليها بيسر وسهولة، ويمكن أن يقوم بهذا مجموعة من الباحثين وفرق عمل متخصصة ويستعان بالكتابات الخاصة والفردية في هذا الجانب.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (المتوفى: 392هـ): الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
- حامد عونى: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، (د ت) (د ط).
- ابن حجر أحمد بن علي، أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ (المتوفى: 1429 هـ) البلاغة الصافية، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر، الطبعة: سنة 2006 م.
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ): صحيح ابن خزيمة، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م.
- الشريف الرضي (406 هـ 1015 م)، المجازات النبوية، بتحقيق وشرح طه محمد الزيني مكتبة بصيرتي قم - شارع إرم.

- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 – 2000.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996م.
- عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: 1426هـ-2005م.
- العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.
- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): الموطأ، رواية أبي مصعب الزهري، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1412 هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: 1031هـ): فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 1.
- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م .

- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م.

الهوامش:

[1]- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): الموطأ، رواية أبي مصعب الزهري، كتاب الجامع، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، رقم الحديث:2074، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1412 هـ،2/ 164.

[2]- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، رقم الحديث: 2977، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ، 4/ 54.

[3]- ينظر أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 40.

[4]- ينظر عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996م، 1/ 128.

[5]- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م،1/ 301.

[6]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 43.

[7]- ينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ (المتوفى: 1429 هـ) البلاغة الصافية، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر، الطبعة: سنة 2006 م، ص: 82.

[8]- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 ه، 1/ 131.

[9]- ينظر المرجع السابق نفس الصفحة.

[10]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 216.

[11]- حامد عونى: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ص: 3/ 78.

[12]- مالك بن أنس: الموطأ، كتاب الجامع، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، رقم الحديث:2074، 2/ 164.

[13]- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ، 69/13.

[14]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 207.

[15]- المرجع نفسه، ص: 216.

[16]- المرجع نفسه، ونفس الصفحة في الهامش.

[17]- ينظر الميداني: البلاغة العربية، 67/1.

[18]- ينظر المرجع نفسه، 69/1 - 70.
[19]- ينظر المرجع نفسه، 70/1.
[20]- ينظر المرجع نفسه، 70/1.
[21]- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم الحديث: 2638، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 4/ 2031.
[22]- الشريف الرضي (406هـ- 1015م)، المجازات النبوية، بتحقيق وشرح طه محمد الزيني مكتبة بصيرتي قم - شارع إرم، ص: 135.
[23]- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): سيرة ابن هشام، الحديث ذكره ابن هشام بسند صحيح صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث عن يزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير، ولكنه مرسل، وروى نحوه أحمد (948) من حديث علي بن أبي طالب بسند صححه الشيخان: أحمد شاكر، والألباني في تخريج "فقه السيرة" (229)، ورواه مسلم مختصرًا (1779)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة بدر، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ-1955م، 617/1.
[24]- ينظر ابن منظور: لسان العرب، 502/3.
[25]- الحشا: مفرد الأحشاء وهو ما دون الحجاب مما في البطن كله.
[26]- النياط: عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه، والنياط أيضا القلب.
[27]- الشريف الرضي: المجازات النبوية، ص: 15.
[28]- الشريف الرضي: المجازات النبوية، ص: 31.
[29]- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق: باب من طلق، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق، رقم الحديث: 5254 ، 7/ 41.
[30]- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ): الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 – 2000، 23/6.
[31]- البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأَكْفَاءِ في الدين، رقم الحديث:5090، 7/ 8.
[32]- ابن حجر أحمد بن علي، أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379، 9/ 136.
[33]- ابن حجر: فتح الباري، 9/ 136.
[34]- ينظر أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 249.
[35]- ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (المتوفى: 392هـ): الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، 2/ 444.
[36]- ينظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

[37]- ينظر المرجع نفسه، نفس الصفحة.
[38]- المرجع نفسه، ص:251.
[39]- السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م، ص: 359.
[40]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 274.
[41]- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن رقم الحديث: 6050، 8/ 16.
[42]- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ، 28/ 373.
[43]- ابن حجر: فتح الباري، 1/ 85.
[44]- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ): صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب ذكر خروج المرأة لأداء فرض الحج بغير محرم، وأمر الحاكم زوجها باللحاق بها للحج بها، رقم الحديث: 2531، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ، 137/4.
[45]- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: 1031هـ): فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356 ، 1/ 501.
[46]- حَبَنَّكَة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 177.
[47]- حَبَنَّكَة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 176.
[48]- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم الحديث: 1291، 2/ 80.
[49]- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ ، 1/ 202.
[50]- العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 2/ 151.
[51]- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم الحديث:104، 1/ 100.
[52]- محيي الدين يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا (المتوفى: 676هـ): شرح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ، 2/ 110.
[53]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.
[54]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.
[55]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[56]- مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث: 2607، 4/ 2013.
[57]- ينظر عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: 1426هـ-2005م، 4/ 580.
[58]- حامد عونى، المنهاج الواضح للبلاغة، 2/ 139.
[59]- الميداني: البلاغة العربية، 66/2.
[60]- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص: 43.
[61]- ابن منظور: لسان العرب، 14/ 173.
[62]- ينظريحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط 1، 1423هـ، 3/ 80.
[63]- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، ص: 626.
[64]- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1/ 69.
[65]- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، 4/ 660.